شبكة الألوكة / آفاق الشريعة / مقالات شرعية / عقيدة وتوحيد



مشاهد من عبودية الجمادات غيرة على عقيدة التوحيد



الشيخ أ. د. عرفة بن طنطاوي

المصدر: قَطْعُ العَلائِقِ للتَّفَكُّرِ في عُبُودِيَّةِ الخَلائِقِ (بحث محكم) (PDF)
مقالات متعلقة

تاريخ الإضافة: 30/5/2023 ميلادي - 10/11/1444 هجري

الزيارات: 2565

مشاهد من عبودية الجمادات غِيرَة على عقيدة التوحيد

والشركُ بالله ظلمٌ عظيمٌ وجُرمٌ كبير، فهذه المخلوقات الكبار وتلك الكائنات العظام تكاد تتشقق وتنفطر، وتَخِر هدًّا لعِظَم الشرك وهوله وفَظاعته وجرمه، إجلالًا لله وغيرةً على توحيده وألوهيته جل في علاه؛ كما قال سبحانه: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ﴾ [مريم: 88 -91]؛ أي: "من أجل هذه الدعوى القبيحة تكاد هذه المخلوقات أن يكون منها ما ذكر"[1].

"وذلك لغيرتها على المقام الرباني الأحدي أن يُنسَب له ما ينزَّه عنه ويشعُر بحاجته ووجود كفءٍ له وفنائه؛ وذلك لأن الولادة إنما تكون من الحي الذي له مزاج فهو مركَّب، ونهايته إلى انحلال وفناء، وهو سبحانه تنزَّه عن ذلك"[2].

و"يَكَادُ يَكُونُ ذَلِكَ عِنْدَ سَمَاعِهِنَّ هَذِهِ الْمَقَالَةَ مِنْ فَجَرَةِ بَنِي آدَمَ، إِعْظَامًا لِلرَّبِّ وَإِجْلَالًا؛ لِأَنَّهُنَّ مَخْلُوقَاتٌ وَمُؤَسَّسَاتٌ عَلَى تَوْحِيدِهِ"[3]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ إِنَّهُ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴾ [فاطر: 41].

"فإن قيل: فما معنى ذكر الحلم ها هنا؟ قيل: لأن السماوات والأرض همَّت بما همَّت به من عقوبة الكفار، فأمسكهما الله تعالى عن الزوال بحلمه وغفرانه أن يعاجلهم بالعقوبة"[4].

فـ" في الآية إشعار بأن السماوات والأرض تهم وتستأذن بالزوال لعظم ما يأتي به العباد، فيمسكها بحلمه ومغفرته"[5].

فرحمته جل في علاه سبقت غضبه، وهذا من كمال حكمته ولطفه بخلقه؛ كما قال ربنا جل في علاه: ﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾ [النحل: 61].

فـ"لَوْلَا أَنَّ رَحْمَتَهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، وَمَغْفِرَتَهُ سَبَقَتْ عُقُوبَتَهُ، لَزُلْزِلَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ مِنْ مَعَاصِي الْعِبَادِ"[6].

وقال جل شأنه: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾ [الأحزاب: 72].

"قال بعض أهل العلم: ركَّب الله عز وجل فيهن العقل والفَهم حين عرض الأمانة عليهن، حتى عقَلن الخطاب"[7].

---

[1] المرجع السابق: (5/ 1016).

[2] تفسير القاسمي: (11/ 4165)

[3] ابن كثير: (5/ 226).

[4] تفسير البغوي: (6/ 427).

[5] عدة الصابرين: (ص: 278).

[6] الداء والدواء: (ص: 88).

[7] تفسير البغوي: (6/ 381).
